

فتح القدير

26 - { قال فإنها } أي الأرض المقدسة { محرمة عليهم } أي على هؤلاء العصاة بسبب امتناعهم من قتال الجبارين { أربعين سنة } طرف للتحريم : أي أنه محرم عليهم دخولها هذه المدة لا زيادة عليه فلا يخالف هذا التحريم ما تقدم من قوله : { التي كتب الله لكم } فإنها مكتوبة لمن بقي منهم بعد هذه المدة وقيل إنه لم يدخلها أحد ممن قال : { إنا لن ندخلها } فيكون توقيت التحريم بهذه المدة باعتبار ذراريتهم وقيل إن { أربعين سنة } طرف لقوله : { يتيهون في الأرض } أي يتيهون هذا المقدار فيكون التحريم مطلقا والموقت : هو التيه وهو في اللغة الحيرة يقال منه : تاه يتيه تيهها أو توها إذا تحير فالمعنى : يتحIRON في الأرض قيل إن هذه الأرض التي تاهوا فيها كانت صغيرة نحو ستة فراسخ كانوا يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وكانوا سيارة مستمرين على ذلك لا قرار لهم .

واختلف أهل العلم هل كان معهم موسى وهارون أم لا ؟ فقيل لم يكونا معهم لأن التيه عقوبة وقيل كانا معهم لكن سهل الله عليهما ذلك كما جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم وقد قيل كيف يقع هذا لجماعة من العقلاء في مثل هذه الأرض اليسيرة في هذه المدة الطويلة ؟ قال أبو علي : يكون ذلك بأن يحول الله الأرض التي هم عليها إذا ناموا إلى المكان الذي ابتدأوا منه وقد يكون بغير ذلك من الأسباب المانعة من الخروج عنها على طريق المعجزة الخارقة للعادة .

وقد أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله : { وجعلكم ملوكا } قال : ملكهم الخدم وكانوا أول من ملك الخدم وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخدام والدار سمي ملكا وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن جرير عنه في الآية قال : الزوجة والخدام والبيت وأخرج الفريابي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عنه أيضا في قوله : { وجعلكم ملوكا } قال : المرأة والخدم { وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين } قال : الذين هم بين ظهرانيتهم يومئذ وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : [كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا] وأخرج ابن جرير والزبير بن بكار في الموقوفيات عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله ﷺ : [من كان له بيت وخدام فهو ملك] وأخرج أبو داود في مراسيله عن زيد بن أسلم في الآية قال : قال رسول الله ﷺ : [زوجة ومسكن وخدام] وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأله رجل : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ قال : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال :

نعم قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم قال : فأنت من الأغنياء قال : إن لي خادما قال :
فأنت من الملوك وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله : { وجعلكم
ملوكا } قال : جعل لهم أزواجا وخداما وبيوتا { وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين } قال
: المن والسلوى والحجر والغمام وأخرج ابن جرير من طريق مجاهد عن ابن عباس في الآية قال
: المن والسلوى والحجر والغمام وقد ثبت في الحديث الصحيح : [من أصبح منكم معافى في
جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها] وأخرج ابن جرير
عنه في قوله : { ادخلوا الأرض المقدسة } قال : الطور وما حوله وأخرج عنه أيضا قال : هي
أريحاء وأخرج ابن عساكر عن معاذ بن جبل قال : هي ما بين العريش إلى الفرات وأخرج عبد
الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة قال : هي الشام وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله : {
التي كتب لكم } قال : التي أمركم الله بها وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية قال :
أمر القوم بها كما أمرنا بالصلاة والزكاة والحج والعمرة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم
عن ابن عباس أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين فسار بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة
وهي أريحاء فبعث إليهم اثني عشر عينا من كل سبط منهم عين لياتوه بخبر القوم فدخلوا
المدينة فرأوا أمرا عظيما من هيئتهم وجسمهم وعظمتهم فدخلوا حائطا لبعضهم فجاء صاحب
الحائط ليجتني الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار فنظر إلى آثارهم فتتبعهم فكلما أصاب
واحدا منهم أخذه فجعله في كفه مع الفاكهة حتى التقط الإثني عشر كلهم فجعلهم في كفه مع
الفاكهة وذهب إلى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا اذهبوا
فأخبروا صاحبكم قال : فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم فقال : اكنموا عنا
فجعل الرجل يخبر أباه وصديقه ويقول : اكنم عني فأشيع ذلك في عسكرهم ولم يكنم منهم إلا
رجلان يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما اللذان أنزل الله فيهما { قال رجلان من الذين
يخافون } وقد روي نحو هذا مما يتضمن المبالغة في وصف هؤلاء وعظم أجسامهم ولا فائدة في
بسط ذلك فغالبه من أكاذيب القصاص كما قدمنا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس
في قوله : { فافرق } يقول : اقص وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه يقول : افصل بيننا
وبينهم وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله : { فإنها محرمة عليهم } قال : أبدا وفي قوله
: { يتيهون في الأرض } قال : أربعين سنة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال
: تاهوا أربعين سنة فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة فلما مضت
الأربعون سنة ناهضهم يوشع بن نون وهو الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي افتتحها وهو
الذي قيل له اليوم يوم الجمعة فهموا بافتتاحها فدنت الشمس للغروب فخشي إن دخلت ليلة
السبت أن يسبتوا فنادى الشمس إني مأمور وأنت مأمورة فوقفت حتى افتتحها فوجد فيها من
الأموال ما لم يرد مثله قط فقربوه إلى النار فلم تأت فقال فيكم الغلول فدعا رؤوس الأسباط

وهم إثناعشر رجلاً فبايعهم والتصقت يد رجل منهم بيده فقال : الغلول عندك فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب لها عينان من ياقوت وأسنان من لؤلؤ فوضعه مع القربان فأنت النار فأكلتها وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : خلق لهم في التيه ثياب لا تخلق ولا تدرن